جامعية (بغداد ، وعمان ، والخرطوم) ، ومركزان ثقافيان سياسيان (مركز الدراسات الفلسطينية في جريدة الاهرام ، ومؤسسة الارض في دمشق) ، الى جانب قسمين جامعيين للدراسات الفلسطينية في القاهرة ، يتبع احدهما معهد الدراسات والبحوث العربية التابع لجامعة الدول العربية (وقد تأسس في الواقع منذ الخمسينات) ومركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة عين شمس . ومهما اختلفت نسب الانتاج والجودة والنشاط والقدرة بين مركز واخر (اذ لا شك ان بعضها اكثر نشاطا وافضل مستوى من بعضها الاخر) ، ومهما تباعدت وتعددت انتماءات هذه المراكز وارتباطاتها الحكومية او السياسية ، فان هناك امورا مشتركة تجمع بينها وتفرض عليها التعاون ، منها الموضوع الرئيسي الواحد (اي الدراسة العلمية للقضية الفلسطينية) ، ومنها الحاجة الى المصادر الاصلية والى الباحثين والمترجمين ، ومنها التركيز على اهمية الادراك الصحيح لمواضيع البحث . من هنا كان مركز الابحاث مبشرا باستمرار بضرورة تنسيق الجهود بين هذه المؤسسات ، آخذين بعين الاعتبار التوزع الجغرافي للمراكز ، وقدراتها المتنوعة ، وارتباطاتها الجامعية او الحكومية. والواقع ان سياسة المركز باقامة عرى التعاون ، وجعل المركز الواحد مكملا للاخر بدل ان يكون منافسا له ، انما وجدت صدى مستحبا ومشجعا من سائر المراكز الاخرى ، حتى اصبح هذا التقليد عاما وشائعا بين المراكز كلها ، وحتى اصبح التعدد، وزيادة المراكز ، بركة وسبيلا للمزيد من الانتاج بدل ان يكون مجرد محاولة للتنافس وللمحاكاة الجامدة .

هناك تقليد سادس لعمل مركز الابحاث ولد من خلال معاناة السنوات العشر : ان يكون المركز مؤسسة متطورة ، نامية ، تراعي في مشاريعها وانظمتها الحاجات والمؤثرات والضرورات . فالمركز ، من الجهة الواحدة ، لم يظهر الى الوجود دفعة واحدة . بل هو وليد السنوات العشر ، في كل يوم يولد من جديد ، بمشروع او مهمة جديدة ، وهو من الجهة الثانية ، لا يتسرع بالشروع في عمل جديد ، بل يعطي أية فكرة او اقتراح مجالا واسعا للتفكير والنظر في جدواه وفي ضرورته .

وخطط عمل المركز العامة اكثر ما تكون عرضة للفحص المستمر وللتعديل والتكييف حسب التطورات التي تتعرض لها المقاومة ككل . فقد شددنا ، في النصف الثاني من الستينات ، على اهمية تعريف المواطن على العدو ، كما ذكرنا آنفا . اما النصف الاول من السبعينات فقد اتجه نحو تكثيف الدراسات الفلسطينية ومعرفة اوضاع شعبنا ، مجتمعا ومقاومة وثقافة . وبينما استعانت المرحلة الاولى بمؤلفين ، افرادا ، من خارج المركز ، وضع عبء المرحلة الثانية على جماعات من الباحثين تعمل متكاتفة داخل المركز . ومثلما ينطبق على هذا الوصف على الخطط الشاملة والعريضة للمشاريع ، ينطبق ايضا على كافة نشاطات المركز التي تربطها دوما بعاملي القدرة والحاجة ، القدرة الذاتية على انجاز المشروع والحاجة الخارجية ، اي للمقاومة وللشعب الفلسطيني عموما ، له .

أما التقليد الاخير الذي اود ان اشير اليه فهو ايجاد صيغة توفيقية عملية بين الفلسطينية وبين العربية في البحث الفلسطيني . ونحن لا ننظر هنا الى الموضوع من زاويته العقائدية . اذ اننا حينما نتكلم عن الفلسطينية في هذا المجال انما نعني فلسطينية المسألة ، وليس جنسية الباحث او العامل في المركز ولا اقليمية المعتقد . ذلك ان عددا كبيرا من كتاب المركز ، بما فيهم كتاب المجلة ، هم عرب غير فلسطينيين (حوالي الثلث) . كما ان بين الذين التحقوا بالعمل في المركز في السنوات العشر الماضية العشرات من الاخوان اللبنانيين والسوريين والعراقيين والمصريين والاردنيين — وكان بينهم عدد من رؤساء الاقسام . ولم يكن المركز في يوم من الايام اقليميا بالرغم من تركيزه الدائم على الا يتعاطى الا الشؤون الفلسطينية .

وبعد ، انها اعوام عشرة من التجارب ، من الاخطاء والتقصيرات والعثرات ، ومن الانجازات والنشاطات والخدمات . انها محاولات في خدمة الثورة الفلسطينية على صعيد ثقافي تأمل ان تسهم في تقريب النصر . والحكم النهائي على هذه التجارب والمحاولات متروك للزمن وللمستقبل .